(١٠)

الساعة والقيامة
عِلمٌ وعَلَمٌ، بحق وكلم

حديث الجمعة

٢٤ ربيع الأول ١٣٨٢ هـ - ٢٤ أغسطس ١٩٦٢ م

موجودة، قائمة مشهودة. يؤمن بها من يؤمن بالله، ويشهدها من يتطلع إلى وجه الله، معلومة في العلم عنه، موجودة في الوجود له، قائمة في القيام به، يستعجل بها لنفسه من لا يؤمن بها، والذين آمنوا بها في أنفسهم مشفقون منها، ويعلمون أنها الحق.

إنه لعلم للساعة. إنه عِلمها وعَلَمها. ذلك من كان تمام الكلمة وقيامها. بدأها عيسى من آدم، وواصلها محمد لآدم، ويتمها محمود المقام لهما الإنسان الآدم، بمولد قدم لمن كان لهما أصلا هما مسيحه، وكانا له في جديد منه أصلا هو مسيح لهما، قيوم بهما بمجيء من كان لهما أبا في جديد مولد بهما، ومن كانا له ولدا في قديم ومعلوم مولد به لهما. إن الكلمة لله في تمامها لا تعرف لمعناها وصف الوالد والولد. وتجمع لمظاهرها وصف الوالد والولد. وتنزه بمعناها بحقها عن الوالد والولد. فهي تظهر بالوالد كما تظهر بالولد. وهي قيام والد وما ولد في قيام من جمع وبيوت وبلد. كانها من كان حِلًّا في البلد، وفي والد وما ولد. كان كلمة الله، وبيت الله، ومدينة الله، وعبودية الله، وروح الله، وآدم الله، وأوادم الله، وأمة المصطفين من أبناء أوادم الله عبادا مكرمين. كان معنى لأولية عباد وقع عليهم اصطفاء للدوام من بين خلق وعباد للنشأة والحطام، وكان تمام الكلمة لكلمات من بين كلمات تهيأت لطلب المعرفة والرشاد. {يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب}[١]. إنه علم الساعة وعلمها، وتمام الكلمة وقيامها، إنما هو دورة آدم بسلام بين سفوره وكنزيته، إنه يوم الله وليلة الله، يوم يسفر فتشرق شمس وجهه بقيام، أو يتكنز فتغرب شمس وجهه ليأتي ليل سكينته بسلام.

إن الأرض بدورتها حول نفسها يتخلَّق عند أبعاضها من مقابلتها للشمس وعزوفها عنها دورة الليل والنهار دائبين، سرمديين، أزليين، أبديين، لا يتوقف لهما تلاحق، ولا ينقطع لهما تتابع. يتواجدان معا على هذه الأرض باجتماع لا ينفصل، وتتابع منتظم متصل، لا الليل سابق النهار، ولا النهار

متخلف عن الليل. الأرض في حاجة لهما، وفي استقامة بهما. ومن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه إذا أرسل عليكم النهار سرمدا. ومن إله غير الله يأتيكم بنهار تعيشون فيه، وتعملون فيه إن أرسل عليكم الليل سرمدا، وهو لذلك فاعل في عوالم غير عالمكم. إنها نعمة الله عليكم في تعاقب ليله ونهاره، يتعاقبان على أبعاض الأرض جزءا بعد جزء، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل على تداخل واختلاف في الدرجة من الإظلام والإنارة، وعلى اختلاف في الزمن من الطول والقصر. ما أشبه الليل والنهار بدنيي الإنسان من منظور دنياه، ومن آجل داناه، بحاضر دنياه، وبغائب داناه، بقائم دنياه، وبآتي داناه، الدنيا والآخرة، الأولى والثانية، العاجلة والآجلة، اليوم وغده، الليل ونهاره، النهار وليله. قد تكون في عاجلتك في نهارك، وفي آجلتك في ليلك. وقد تكون في عاجلتك في ليلك، وفي آجلتك في نهارك. إن الليل والنهار يتعاقبان عليك أيها الأرض الصغيرة. وإن الليل والنهار معك على دوام أيها الكوكب الصغير. يستهلكانك أو يتواجدانك، ويربيانك أو يملكانك أو يُملكانك، يَسودانك أو يُسوِّدانك.

إنك بداخلك وبخارجك بين ليلك ونهارك، بين عاجلتك وآجلتك. وفي أنفسكم أفلا تبصرون، سلام هي حتى مطلع الفجر، ارجع البصر كرتين، باحثا منقبا عن هدفك في طلب معروفك من أمر ربك. إن صدقت، إن اجتهدت، إن حاولت، انعكس إليك أمر الله الذي تطلب، فوجدتك أمر الله الذي يقوم، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير. ترى الله معك، تراك في أمرك معية الله، وباطن الله، وظاهر الله، في ظهور أمرك، وفي بطون أمرك. إن كنت كذلك، قامت قيامتك، بقيام الحق بك، وجها له من ورائك محيط، ويدا له بها فاعل قابض، وقدما له بها على الأرض يدب، وعليها يسير، وعبر الزمن للزمن يقطع، وصحت نسبتك إلى أبيك وصلحت لتكون ابنا للإنسان، فترى من يكون الإنسان، ومن يكون آدمه، ومن يكون أبناؤه، ومن يكون بنو آدم. إن أرض الإنسان أو ذات الإنسان المراد بمعنى الإنسان في حقيقته إنما هي كائن يعيش الكون بشموسه، وكواكبه، وأقماره، وسدمه في داخلها، في مقابلة لشمس ربه.

إنه لعلم للساعة، وعلم عليها، ذلك من تواجد كلمة الله وتمامها، وخرج للناس كلمة الله وقيامها. يشهده الناس يدا لله مبايعة، ووجها لله مشرقا، وحوضا لله مورودا. عرفه لنفسه من كانه محمدا، ومن كانه كلمة الله، ومن كانه آدم الله، ومن كانه عبد الله، أو من هو قائمه عبدا لله، ومن كان مرجوه في تكاثر لا يخرج عن وصف العبد لله والوجه له واليد منه، حتى يدرك بالأرض له في معناه لمشرق الشمس عليها، فيعرف عن مغرب أرضه بمغرب الشمس عنها، لا شروق ولا غروب، ولا غروب ولا شروق، ولكنها الحركة ولكنها الحياة. ظاهر الغروب كامن فيه شروق، وباطن الشروق يظهره

غروب. أي ظاهر الغروب باطنه شروق، كما أن باطن الشروق غروب. إن الليل لا ظهور له إذا طواه النهار، وإن النهار لا ظهور له إذا طواه الليل. ولكن الليل وإن طواه النهار لا انعدام له، وإن النهار وإن طواه الليل لا فناء له. إن الليل والنهار أمران لله، وأمران في الله، وأمران في الإنسان، بالله يقومان، وبالله يتجددان، وبالله يبطنان، وبالله يظهران ما بين ظاهر وباطن من كيان، ما بين خلق وحق، ما بين عبد ورب. العبد ظاهر الرب إذا قام عبدا، والعبد باطن الرب إذا قام ربا. العبد بالرب يعمل، وبالرب يقدر، وبالرب يسعى، وبالرب ينطق، ولأمر الرب يكتم، وهو للرب وجه، وهو للرب يد، وهو للرب عين، وهو للرب قدم يسير. والرب بالعبد يظهر، وللعبد يعرف ويعرف، وإليه يتعارف، وبالعبد يترقى ومعه يعرف، لا فرق بين العبد والرب في إنسان الله، يوم يقوم الإنسان بوصف ذكر الله باطنه رب وظاهره عبد، أو ظاهره رب وباطنه عبد. (استمهلت حتى يصلي ربي)[٢] (بل الرفيق الأعلى)[٣]... - عبد يحجب ربا - رب يحجب عبدا-.

هذا ما جاء به محمد عليه السلام، وهذا ما قام به محمد عليه السلام، وهذا ما هو به قائم محمد عليه السلام، وهذا ما سيبقى به قائم محمد عليه السلام، وهذا ما كان به محمد في قديم قائما، في قديم لا يدرك، وسيبقى به في أبد لا ينتهي، وسينمو به ويتعالى به ويتدانى به في تواجد لا ينقطع، وإشراق لا يغيب عن الأرض. جعلت الشمس عليه دليلا، ولكنه يسير في الأرض بين مشرقها ومغربها، لا بل تدور فيه الأرض زويت له مسجدا وطهورا، شرقها حيث يشرق، وغربها حيث يغرب. لا.. إنه شمسها تستقبله فيتواجد الشروق، وتدبر عنه فينفلق ليومها الغروب، نجما بالعلم وسلطانه إلى الأرض هوى، وبكتاب الله عليها قام، وبالحق فيه لها طوى. قامه الحق فكان يوم ندائه، وليل سكينته، وفجر رحمته، ونهار نعمائه، يطوي النفوس المحترقة في الله بليل سكينته فتهجع وتهدأ وتسكن، كما كان النهار المشرق لله يطوي النفوس الخامدة، ماتت بعد حياة، فيشعلها جذوة مشرقة بنار الله، بنار قدس الله، فتتألق وتحترق، ويصدر عنها نور الله، ينشئها فيما لا تعلم وفيما تعلم، وقد أوجدها مما تعلم ومما لا تعلم، وأقامها فيما لا تعلم حتى تعلم لما لا تعلم، ويتوفر لها حقي العلم بما تعلم. الظاهر مرآة الباطن.. من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.. اتقوا الله ويعلمكم الله.. انظروكم ضالين يأخذ بأيديكم الهادي والهادين.. اعلموكم مفتقرين يأخذ بيدكم صاحب الحوض والواردين. على أساس من هذا يقوم الدين، وعلى غفلة عنه وعلى مخاصمة له يُهدَم الدين، وتُظلِم قلوب الكافرين، وتطفأ عقول الغافلين، ويتخلى النور، ويطبق الظلام، ويتخلى الليل بسكينته، ويتخلى النهار بجلوته عن طالبي العدم، ويتحقق لهم بإرادتهم من إرادة الله كانوها لأمرهم العدم ومعاني العدم. إن الله غير عاجز أن يحقق طلب الطالبين بالحياة لأنفسهم أو بالعدم لأنفسهم، بالبقاء لحياتهم أو بالتخلي عن الحياة لبقائهم. إن الله على كل شيء قدير وليس الناس بمعجزيه يوم يطلبون ما يطلبون، فقدرته إنما هي في تحقيق ما يشاءون، كن كيف شئت فإن

الله كيفما تكون يكون، وما تشاءون إلا أن يشاء الله ما تشاءون. إن العباد والخلائق لهم لا يحققون لله طلبا فلا طلب له عندهم، ولكنه يحقق لهم ما يطلبون وهم الفقراء إليه.

إذا لم يقم على هذا فقه الدين فلا فقه للدين. وإذا لم تقم على هذا حكمة الدين فلا عمد للدين. وإذا لم يسقَ من هذا بماء اليقين فلا حوض يورد للدين. إن الدين أن تعرف جوهر الحياة ومعنى الحياة، وأن الطريق أن تسلك سبيلك إلى موارد الحياة فتردها فتحيا باسم الله ذكرا لله وبيتا لله.

من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. إن الزحزحة عن النار إنما هي في دنيا قيامك، وإنما هي في حاضر فعلك يوم تتعرض لنفحات الله في عصرك وفي قائم حياتك، وما نفحات الله إلا عباد الرحمن على الأرض يمشون عليها هونا، وما نفحات الله إلا عباد الرحمن يدبون على الأرض في قيامك رسلا من أنفسكم يفتحون لكم كنوز قلوبكم. (إن لله كنوزا مفاتيحها الرجال)[٤].. المؤمن مرآة المؤمن.. (خلفت الله عليكم)[٥]، {قائم على كل نفس بما كسبت}[٦] فلا إنباء ولا نبوة بعد اليوم عن قائم موجود في العيان وفي الشهود...

رجال هم مصابيح الطريق، يعرفون مسالك السلامة، {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٧]، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٨]. {أتأمرون الناس بالبر، وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}[٩]. {مثل الذين حملوا التوراة [من قبلكم] ثم لم يحملوها [مثلهم] كمثل الحمار يحمل أسفارا}[١٠]، وقد حملتم الكتاب والسنة من بعدهم وها أنتم لم تحملوها، تركتكم الرسول على المحجة البيضاء، كتاب الله وعترته، وقال لكم إن هذه المحجة البيضاء سينالها الغبار ويعلوها الصدأ من فعلكم وغفلتكم وتحريفكم الكلم عن مواضعه، وسيبعث الله على رأس كل قرن من يجدد لكم أمور دينكم. وها قد مضت أربعة عشر قرنا، وكلما جدد الله على رأس كل قرن، وعلى رأس كل جيل من الناس، وعلى رأس كل أمة من قومه في قرون متداخلة، وأجيال من الناس متشابكة متداخلة، في أوطان متجاورة ومتباعدة، لحِق به أناس وتخلف عنه أناس، ترفعون طبقا فوق طبق كما تردون إلى الأرض طبقا بعد طبق، تبعثون على الأرض طبقات، وتتخلون عنها طبقات، وكلما جاءها قرن، وكلما جاءتها طبقة، وكلما جاءها جيل، وكلما تداخل جيل بليله في جيل بنهاره، وكلما أولج جيل بنهاره، في جيل بليله، وكلما تداخل ليل جيل بنهاره، أو ناره بليله، تواجد الإنسان في طريق كماله، وفي استقامة أحواله، في الأرض مزواة له.

جعل الله من محمد مثالا وقدوة، كما جعل به للناس أسوة وقدوة ارتضاها، ولنفسه في نفسها هداها ويهديها أمرها، ومن الناس رحمة منه ما ميزها إلا بما أعطاها، وجعل في عطائها البشري لمن والاها. جعل منها قدوة وجعل من قسوة الحياة في قيامها بها وصبرها لله في أمرها أسوة، حتى يصبر الناس

لأمر الحياة في أمرهم {خلقنا الإنسان في كبد}[١١]. وما كانت المشقة به إلا تذكرة لمن يخشى. فما كان بقديمه في حاجة لسعي، وما كان في حاجة لتمام، فقد تمت به له في قديم كلمة ربه، وكان مثالا لتمام أبيه وربه، واصطفاء الأعلى له ليكون عضده وعبده، وقد سوى به بين العبد وربه فجعل من الولد رفيقا للوالد حبيبان وخليلان فيه، فرأى الوالد في الولد كما رأى الولد في الوالد وجه الرفيق الأعلى له، فطلب الذكر القديم للذكر المحدث إن شاء أن يبقى كلمة الله في الأرض أبدا وإن شاء رده إلى الأعلى لهما عبدا وولدا، فطلب المرجع للأعلى، فأعطي الكوثر حتى لا يتخلى عن الأرض بقدوته ومعناه في كوثره ومبناه، حتى يجدد نفسه بكماله وجميع أحواله، حتى لا تسلب الأرض عطاءها من الرحمة به، فاستعان بربه على أن يسوي جديده بقادمه بحاضره لقديمه، {ربِ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين}[١٢]، فأجاب سؤله كما أجاب موسى من قبل، وأمره بالصبر والصلاة وأهله حتى يطبق القانون بمحدثه، فعرف أنه حي في قبره وقد ارتضى ربه لنفسه ولده وجديده منه وليا، ولعين معناه تقبله فصار له خليلا وعليه دليلا فطلب من ربه له ما عرف مما به شَرُف فعبده لنفسه على ما عبده، وصنعه لنفسه على ما صنعه. كيف لا وهو الولد الذي رأى فيه الوالد وجه الأعلى مرآة له، فسأله أن يجعله منه في جديد متكاثر مرآة له، وأن يجعله له منه لنفسه لمن يؤاخيه عين معناه، وطلب أنه من خلاله يتكاثر بنفسه ويحياه بعثا لآبائه بالأكبر من عطائه، فأجيب سؤله وقام بالله أمره في أمر بيته وولده وعترته، وجعل الله ذريته في ظهر عَلِّيه، وجعل من زهرائه أم أبيها في أبنائه قدوة للناس وربا للناس من رب الناس في رب الناس.

أحاط بالأرض وزويت له، وجعلت له مسجدا وطهرت له، وقيل له يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنى، وقد أظهره ربه على الدين كله فقال أمة مذنبة ورب غفور، ما أرسلتُ إلا رحمة للعالمين وإني لا أُدين أبدا، اذهبوا فأنتم الطلقاء، وسأبقى حيا في قبري في جوار الرفيق الأعلَى لا مكان له، تعرض عليّ أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم. وإني لتارك فيكم ذا قرنيها من أنفسكم دائم متجدد بدوامكم وتجدد أجيالكم. (أما يرضيك يا علي أن تكون أنت أخي، أنت مني بمنزلة هارون مِن موسى)[١٣]، بل عباد مكرمون. إن لله عبادا يغبطهم النبيون والشهداء على مكانتهم من الله يوم القيامة.

لم يتعالَ على الناس بمكانته من ربه، وخفض جناح الذل وهو العزيز الممكن رحمة بالناس، ولم يظهر بجبروت سلطانه وهو القوي، ولم تمتد يده بطغيان حتى على أهل الطغيان، ولم تمشي قدمه بغير الحق حتى بين أهل البهتان منزهة عن مقابلة البهتان ببهتان، حتى إذا ما تحقق له النصر وطوى الأرض وعلاها، لم يمشي مرحا ولا مختالا ولا فخورا بإحسان على ثراها.

تخلق بخلق الله، فأثنى عليه الله {وإنك لعلى خلق عظيم}[١٤]، فقال بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، فلما تكشف القانون في قوله تعالى {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا}[١٥].. وقد كان في المرتبة وتجاوزها قال مالي والدنيا، أنا في الدنيا عابر سبيل استظل بظل شجرة ثم مضى، وإني لماضٍ، خلفت الله عليكم وقد عرفتم أنه القائم على كل نفس، وتركت فيه منه بينكم عبدا له ورسولا من أنفسكم أخًا لي وإماما لكم ووليا عليكم، يا عليّ أنت ذو قرنيها، فمن كنت مولاه فعَليٌّ مولاه، وما أنا عليكم بوكيل إلا من آمن بالله وعرفني رسولا له. وسألقاكم مرة أخرى يوم أولد منه. إني أرى فيه في مرآة الأخوة وجه أبي، وإنه ليراني في مرآة من أبنائه وجه أبوته، فعليّ مني وأنا من عليّ، وولده مني وأنا من ولده. كل بني امرئ يدعون إلى أبيهم إلا بنو فاطمة فأنا وليهم وأنا أبوهم، أنا من حسين وحسين مني، وأنا من حسن وحسن مني - أعطيت جوامع الكلم - روحي وشجرتي ونفسي وأم أبيها وعذراء وجودي ومعنى موجودي. إنهم أهل البيت الموضوع بي لكم، إنهم الحوض المورود للمؤمنين منكم، إنهم الوجه المشهود للعارفين من بينكم، إنهم الحق المقصود في قبلة صلاتكم ومطاف حجكم، حجبته عنكم غشاوة الجحود، وغشاوة الكبرياء، وغشاوة الغفلة، وظلام الشرك. إنهم أهل البيت يوم ينفخ خلال أسوار ذواتكم وفي بيوت قلوبكم من روحه، فتشهدون وجه القلوب الحية وجوها لله، والبيوت المطهرة بيوتا لله بعيون بصائركم.

إنهم عباد الرحمن، إنهم عترة القرآن، إنهم كوثر الإنسان، إنهم بيوت الله يذكر فيها اسمه، موضوعة أو مرفوعة، إنهم أسماء الله في الذكر القديم تقوم بالذكر المحدث باسم الله الرحمن الرحيم. إنهم سفن النجاة، إنهم موارد الحياة، إنهم أبواب السماء، إنهم عيون الأرض بالجزاء أو الابتلاء، إنهم يد الله منبسطة بالرضاء، إنهم قدم الله بالسعي للعطاء جزاءً وفاقا لأهل الصدق والرجاء.

هذا في دين محمد، هذا في دين الإسلام، هذا أمر هذا الدين يوم يقوم لهذا الدين أمر. هذا هو الطريق المستقيم يوم يستقيم الناس في حياتهم، ويستقيم الناس في دينهم. هذا عَلَمُ الدين يوم يقوم للدين عَلَم، وهذا عِلم الدين يوم يقرأ للدين كتاب. ولكن ماذا كان من أمرنا في قديم؟ وماذا كان من أمرنا في قائم؟ وترى ما يكون من أمرنا في قادم؟ هل ندرك؟ هل نستيقظ؟ وما نحن في قائم إلا بعثا بجديد لقديم من الظلام ما قامت فيه حياة، وما قام فيه نور، وما قام فيه رجاء. هل سنقول كما قال آباؤنا قبل الإرسال، وقبل الرسالة، وما عادوا إليه بعد الإرسال وبعد الرسالة إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتفون؟ فها نحن الأمويين، وها نحن العباسيين، نحن الهاشميين، وها نحن العثمانيين، وها نحن العرب والمستعربين، فأين هم المسلمون؟ أين هم المؤمنون؟ أين هم الموحدون؟ إن الآباء والأجداد بعملهم تحت نظر الأبناء يوم يتفكرون، ويوم يستيقظون وإلى أنفسهم يتوجهون، يرون أنهم

على ضلالة وعلى غير هدى يقومون. إن ركب الحياة في تقدم وارتقاء وهم في تخلف وبلاء، فالناس إلى الأمام بالعلم يسيرون، وهم بالجهل إلى الخلف يتقدمون فلا يميزون بين الخبيث والطيب مما ورثوا، بل ما تكشف لهم من الحق كلما تجدد بينهم الدين يتجنبون. وبكل رذيلة من قديم يتمسكون. وكيف قام هذا الخبيث من الأمر في حياتهم لا يتبصرون. الحلال بين والحرام بين ولكنهم مع الآباء في إصرار من العناد يعمهون، وسيرا إلى حياة الأبناء بجهلهم وفسادهم يسرون، لا أنفسهم يصلحون ولا أبناءهم للقدر يتركون، والجهل على الأرض الطيبة يفرضون. وما جعل الله كمال العلم به فرضا على المؤمنين فما كلف نفسا إلا وسعها من المسلمين. من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لا إكراه في الدين. فلا يخلفون من بينهم ولا يتركون من بعدهم إلا الضالين هم لهم مضلين، وسحبا من فساد وظلام عن الأرض بأشباحهم لا روح فيها يتصاعدون، فيفسدون السماء بعد أن كانوا في الأرض من المفسدين وبفسادهم يبعثون.

إن الله لا يقبل السجناء في المادة ولا الأسرى للمادة، لا يقبل الجهلاء ولا المستكبرين، ولكن الله يفتح ذراعيه بالقبول والرضا لمن تأمل وتفكر فيه بحرية كاملة ولو انتهت إلى الحيرة فيه، أو إلى الشك فيه، أو إلى الكفر به، أو الإنكار عليه. إن الفكر الطليق المتحرر الباحث عن الله لا يحيط بالله، ولكنه يحمل نفسه ما لا تطيق فيشق عليه الأمر. فإذا رد الأمر إلى نفسه وطلب إلى عقله أن يقرأ كتاب نفسه، وأن يتردد بالنظر إلى نفسه لوجد ربه ووجد نفسه، وعرفها خصيما لله بوهم ربوبيتها في عزلة عنه بعزته. ويوم يعرفها على ما هي من معاني الخلق من معاني الأرض والسماء، ويدركها جهازا لخالقها وخالق السموات والأرض. يوم يعرف ذلك، يدركه له خلقا وعبدا، ويعرفها له كرسيا وعرشا، فيكون بها في الله بيتا وربا، فيسير إلى حضرة الله ويسير في الله، في حاضر من قيام، وفي موجود من قائم بسلام، وهنا يعمل العقل، وتستيقظ النفس. وهذه هي المجاهدة في الواسع العليم وعد معها بالهدى منه في ارتداد العقل إلى نفسه في نوراني أمره سبيلا لله. يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه، إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، فليؤمنوا بي وليستجيبوا لي لعلهم يرشدون. ويوم قال الرسول (خلفت الله عليكم)[١٦]، وقال الله هو خاتم النبيين، وقال الرسول (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[١٧]، انتهى الإنباء وقد كشف الغطاء، {فأينما تولوا فثم وجه الله}[١٨]. {ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}[١٩] {فكشفنا عنك غطاءك}[٢٠] (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[٢١].

كل هذا قاله الرسول. وكل هذا جاء به الكتاب. وكل هذا تجدد بيننا المرة بعد المرة، والكلمة بعد الكلمة، وتجاهلناه من الله، {من يهدِ الله فهو المهتدِ}[٢٢]. وتجاهلناه أنفسنا به، وأنكرنا على من كانه وقلنا: أآلهتنا خير أم هو؟ وتعلقنا بأربابنا مما تهوى أنفسنا من عاجل أمرنا، وما تهوى أنفسنا من ذليل أمرنا ممن نقيم على أنفسنا، أو نتخذ أربابا ممن جعلتهم الفطرة زينة الحياة الدنيا، تتخذهم من دون الله فيمن نختار سواء لدنانا أو لديننا ليكونوا قدوة لنا، وعنوانا لملئنا، مما هدم الدين بيننا وما هدم كياننا، وأفسد علينا مزرعتنا من دنيانا وانفرط معه عقدنا من أمرنا، في بعد عن رب لنا هو معنا يرعانا ويجمعنا. نسأل الله المغفرة والعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، لنا ولآبائنا، وأن يصلح للحق منه أبناءنا.

اللهم إنا قد فرطنا في أمرنا، وغفلنا عن أنفسنا، وتركنا لمعاني النفس فينا قياد عقولنا، فانعكس في الحق أمرنا، وانكببنا نسير على وجوهنا، وانفرط في الحياة عقدنا، وتلاشى فيها قيامنا إلا من رحم. اللهم بحقك معنا فوجهنا، وبه فأحينا، وابعث فينا كلمة الحق لنا، وبكلمة الحق فأقمنا، وبها ألف بين قلوبنا، ووحد جمعنا، وألف نفوسنا وقيامنا، وعلى قلب كلمة لك فاجمعنا، وبها فابعثنا، وبها فانشرنا وارحمنا، واجعل منا يد رحمة منبسطة، ويد عزة واقية، ويد نعمة شافية، ويد قدرة دافعة ماحية محيية.

اللهم اجعل نطقك على ألسنتنا مستقيما، واجعل صوتك في آذاننا رحيما، وقنا شر القوارع وشرور أنفسنا، واهدنا حكاما ومحكومين، وارحمنا يقظين وغافلين، وخذ بنواصينا إلى الخير أجمعين.

أضواء على الطريق

(إني أحثكم دائما على أن تتذكروا الحقائق الروحية الأساسية. ابنوا عليها ديانتكم وفلسفتكم وأخلاقكم وضميركم. ما لدينا هو الحق البسيط. إن الذين يرون بعيون الروح يرون ما وراء حدود فواصل الجنس أو الوطن أو المناخ أو اللون أو المذهب أو الزمن، ويتبصرون عقدة الروح التي تربط كل البشرية في وحدة).

من هدي الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الشورى - ١٣

٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣ من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن لحظات انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، فجاء له ملك الموت وقال: السلام عليك، يا رسول الله أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلحق بالله فقال: النبي صلى الله عليه وسلم، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى.."

٤ حكمة مأثورة تتناغم مع الحديث الشريف: "إنَّ من الناس مَفاتيح للخير مَغاليق للشَّرِّ، فطُوبَى لِمَن جعَل الله مَفاتيح الخير على يدَيْه، ووَيْلٌ لِمَن جعَل الله مفاتيح الشَّرِّ على يدَيْه." أخرجه ابن ماجه في سننه، وهكذا صححه ابن حبان.

٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٦ سورة الرعد - ٣٣

٧ سورة الفرقان -٥٩

٨ سورة يوسف - ١٠٨

٩ سورة البقرة - ٤٤

١٠ سورة الجمعة - ٥

١١ سورة البلد - ٤

١٢ سورة الأنبياء - ٨٩

١٣ العبارة تشير إلى أكثر من حديث شريف موجه من الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: ١- الحديث الشريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا عليّ: "أنت أخي في الدنيا والآخرة.". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم. ٢- الحديث الشريف: "أنت مِنِّي بمَنزلَةِ هارونَ مِن موسى إلا أنَّه ليس بَعدي نَبيٌّ". صحيح مسلم وصحيح البخاري.

١٤ سورة القلم - ٤

١٥ سورة الكهف - ٨٦

١٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٧ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

١٨ سورة البقرة - ١١٥

١٩ سورة الملك - ٤

٢٠ سورة ق - ٢٢

٢١ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

٢٢ سورة الكهف - ١٧